نعم..أنياب الديمقراطية الموعودة!

05-9-2003

اسبانية في عهد الحكم الأثناري – البوشي انتقلت وبحركة قليلة الدهاء لتصبح دولة شبه فاشية, تستخدم حكومتها الإعلام كوسيلة ماضية للسيطرة على الجماهير التي تمّ تغييبها بشكل لم يسبق له مثيل عن الحضور في الساحات السياسية والإعلامية, الديمقراطية الإسبانية في عهد الحروب العادلة المنصفة الشريفة ومنها على سبيل المثال الحرب على العراق أصيبت بمقتل, في زمن لم يعد فيه من معنى لكلمة ديمقراطية اللهم إلا اسكات الرأي الآخر

بقلم نوال السباعي

اطلعت على مقال الأستاذ فهمي هويدي والذي قرأته في الشرق القطرية , تحت عنوان "أنياب الديمقراطية الموعودة", فأثار الموضوع في نفسي شجونا وهموما وآلاما, ورجوت أن أقدم للقارئ العربي شيئا عن هذه الأنياب التي أصبحنا نعيش في ظلها هاهنا في بلاد الحرية والديمقراطية .

صورة غريبة وشاذة وعجيبة ليس عما يجري في بلادنا من قمع للحريات وتكميم للأفواه وزجر لكلمات الحق التي بدأت تنكمش بصورة بالغة الخطورة إلى ساحات الانترنت الداخلية, والتي لم تسلم بدورها من أنياب الديمقراطية الغربية التي يجد بعض الحداثيين في التطبيل والتزمير لها مجالا ممتازا للإرتزاق على حساب أمة تغلي وتشتعل من أقصاها إلى أقصاها جراء احتلال الغزاة عقر دورنا لامتصاص دمائنا باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ديمقراطية تضرب في كل يوم جديد مركزا من مراكز النور والحرية والتقدم والاستقلالية في البلاد العربية والإسلامية, لقد هيأت هذه الديمقراطية جنودا متخصصين للاجهاز على كل ساحة للرأي المناهض لها ومهما كانت بسيطة أو صغيرة أومغمورة, فلقد تم – على سبيل المثال- تدمير موقع صغير، موقع الشروق الإخباري الفلسطيني ثلاثة مرات خلال شهر واحد, كما تمّ تعطيل موقع "بوابة العرب " الكويتي الإماراتي, مرتين خلال هذا الشهر كذلك, ولا أريد أن أذكر ما الذي حل ببعض الصحف العربية التي كانت قد استقطبت في فترة من الزمان مجموعة من الأقلام التي تتحدث باسم الأمة منافحة عن حقوقها المغتصبة, فاضحة أوضاعها التي صار من الخيانة السكوت عليها, فتم استخدام رئيس تحرير استطاع أن يتسبب في شهر واحد في تخلي نصف هؤلاء الكتاب لمواقعهم وأعمدتهم جانبا بانتظار كوة من نور جديدة.

أما عن اسبانية التي أعيش فيها, إحدى دول الإتحاد الأوربي الديمقراطية الحداثية المتقدمة, فإن عمليات الإرهاب الإعلامي وكبح الحريات والرأي الآخر والإحتكار التام لإعادة تشكيل العقل والتفكير الجماعي للأمة الإسبانية, صارت من الوضوح بحيث لا يمكن لإنسان شريف أن يسكت عليها, القنوات الفضائية الستّ الرئيسية ومنذ استلام حزب الشعب حكم البلاد بأغلبية عظمى, مشغولة ليلا ونهارا في برامج الجنس ونشر الدعارة والإهتمام وفقط بأخبار الساقطين والساقطات من نجوم المجتمع القذر الذي يسمى بـ"المخملي", ولاتكاد تجد في هذه القنوات مجتمعة برنامجا حواريا واحدا سياسيا أو ثقافيا, حتى نسي الناس أسماء المثقفين والكتاب

والشعراء الإسبان الذين ازدهر وجودهم وانتاجهم أيام الحكم الإشتراكي إلى درجة أن صارت فيها الثقافة هما وطنيا وقوميا إلا أن العهد الأثناري- البوشي الجديد, كما يدعوه النخبة من المفكرين وصناع الرأي من الإسبان جاء بثقافة القمامة الإعلامية, والتي لا هدف من ورائها إلا شغل الجمهور عن القضايا السياسية الكبرى التي تحاك من أمام الستار وليس من خلف الستار كما كان هو الحال من قبل !.

قضايا على غاية من الخطورة, كغزو العراق ومحاسبة كل من رئيس الحكومة أثنار ووزيرة خارجيته على الكمّ الهائل من الكذب والمداهنة, اعتقال مجموعات من الشباب العرب المقيمين في اسبانية والحاصلين على الجنسية الإسبانية والزج بهم في السجون دون محاكمات ولا تهم ومن ثم الإفراج عنهم بكفالات مادية كبيرة, والإعلان في الصحف الرئيسية بعد ذلك وفي خبر جانبي هامشي عن براءتهم, سقوط طائرة عسكرية ومقتل أكثر من ستين عسكريا اسبانيا أثناء عودتهم من مهمة لحفظ السلام, تسمية خلف لرئيس الحكومة أثنار وشغل البلاد والعباد لأكثر من عام في حل هذا اللغز الأثناري المدهش !, تنامي الأعداد الهائلة للمهاجرين في البلاد وفي زمن قياسي ومن جنسيات خاصة كمواطني دول جنوب أمريكا اللاتينية وتنامي نسبة الجريمة المرتبطة بهؤلاء المواطنين إلى درجة كبيرة, غرق ناقلات نفط على شواطئ غاليثيا الشمالية متسببة في القضاء شبه التام على البيئة في تلك الشواطئ, ومع البيئة اقتصاد المقاطعة وتوقف عشرات الآلاف من الصيادين المساكين عن العمل, قضايا كهذه على علاقة وثيقة بأداء الحكومة الديمقراطية وبقيام أثنار بواجبه في حكم البلاد دستوريا وقانونيا, قضايا مثل هذه لا يكاد يتعرض أحد لذكرها في القنوات التلفزيونية إلا في البرامج الإخبارية الصباحية التي لا يكاد يتابعها إلا المختصون على درجة عالية في السياسة والصحافة والإعلام, ولا تتم معالجتها كما يجب في دولة تدّعي الديمقلاطية وحقوق الانسان .

الصحف الإسبانية لا تتمتع بالقدر اللازم من الحرية ولا من الديمقراطية فهي تابعة رأسا للأحزاب التي تمتلكها وناطقة باسمها, وأما البرامج الإذاعية فلا تختلف كثيرا عن حال الصحف من الإبتعاد عن النزاهة في نقل الخبر وفي تحليله, وقد سمعنا أيام الإعداد لغزو العراق العجب العجاب من الكذب والتناقض بين الإذاعات الإسبانية الموالية والمناهضة للحكومة, وقد استخدمت حرب العراق كسلاح ماض في هذه المعركة بين اليمين واليسار الإسباني الذي جانب كلاهما النزاهة والصدق في سبيل الوصول إلى مكاسب سياسية, وخاصة الحزب الحاكم الذي بدا لي وكأنه لا يختلف في شيء عن الاحزاب الحاكمة في بلادنا, ولولا وعد انتخابي سبق على لسان رئيس الحكومة الإسبانية بعدم الاستمرار في الحكم لأكثر من ثمانية أعوام لحكمنا أثنار إلى الأبد هو وأولاده وأحفاده وصهره, ذلك أنني لا أستبعد أن يكون صهره رئيسا للحكومة الاسبانية ذات يوم وهو الحائز على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية وأحد أبرز قيادات الحزب الحاكم وإن اضطر يوم زفافه إلى الإستقالة من مناصبه هذه حسب التوصيات الدستورية .

اسبانية في عهد الحكم الأثناري – البوشي انتقلت وبحركة قليلة الدهاء لتصبح دولة شبه فاشية, تستخدم حكومتها الإعلام كوسيلة ماضية للسيطرة على الجماهير التي تمّ تغييبها بشكل لم يسبق له مثيل عن الحضور في الساحات السياسية والإعلامية, الديمقراطية الإسبانية في عهد الحروب العادلة المنصفة الشريفة ومنها على سبيل المثال الحرب على العراق أصيبت بمقتل, في زمن لم يعد فيه من معنى لكلمة ديمقراطية اللهم إلا اسكات الرأي الآخر وتغييبه, واعتصام الحاكم بحماية القوة العظمى الأحادية له, والضرب عرض الحائط برأي الجمهور وإرادته.

البرنامج الإعلامي التلفازي الوحيد الذي يبث يوميا نصف ساعة من الحوارات السياسية في ساعات الإستماع والمشاهدة القصوى- وهي ساعة تناول طعام الغذاء-, لايمكن أن يمر يوم عليه إلا باستضافة شخصية صهيونية أو يهودية, بل إن هناك موظفين ثابتين من مدعي الثقافة والإعلام من اليهود وبعضهم مستشار لدى السفير الإسرائيلي في مدريد, من الذين يتولون إعادة صياغة

الرأي العام الإسباني ضد العرب والإسلام والمسلمين, والذين والحق يقال أنهم أشدّ احتراما للعرب والاسلام والمسلمين من بعض كتاب بعض الصحف العربية من الحداثيين المطبلين المزمرين لفرض الديمقراطية الغربية في بلادنا ولو بالدبابات الاسرائيلية أو الأمريكية !..لم يستقدم هذا البرنامج قط مثقفا عربيا واحدا للدفاع عن فكرة واحدة تخدم الحق العربي, وإن كان دائما معظم الكتاب والإعلاميين والمثقفين الإسبان الذين يحضرون الحوارات يحسبون رغم أنف وسائل الإعلام الاسبانية من مؤيدي الحق الفلسطيني دون قيد أو شرط, وهي حالة غالبة في اسبانية لم تستطع كل القوى الصهيونية مجتمعة تغييرها.
التغيرات الهائلة في طبيعة الديمقراطية الإسبانية ومفاهيمها وأبعادها ودورها ووسائلها, لم تؤثر على الشرفاء حتى من الإسبان, وإن كانت قد أثرت على غير الشرفاء من أبناء جلدتنا .
الأصوات تتعالى في كل مكان من اسبانية لحماية الديمقراطية التي اغتُصبت من قبل مجموعات اقتصادية هائلة من خارج البلاد استطاعت شراء قنوات تلفازية وصحف بأكملها تدير من خلالها الرأي العام في ظل حكم الحزب الواحد بالأغلبية المطلقة التي أصبحت تساوي هاهنا حكم الفرد في البلاد العربية. لقد ظهرت أنياب الديمقراطية التي تحمي نفسها بنص دساتير بدت عاجزة عن حماية الناس من ديكتاتورية الديمقراطيات الغربية التي لا يمكن وصفها اليوم إلا بالفاشية وخاصة في اسبانية وايطالية حيث يمكن شراء كل شيء وبيع كل شيء.
المؤلم بالنسبة للمقيم في هذه البلاد هو ما يجري فعلا في بلادنا من قهر واستعباد واستيطان واحتلال, أو تمثيل وتهريج وكذب وانسلاخ عن هذه الأمة ...وكل ذلك باسم الرغبة في نشر الديمقراطية, إنها أسطوانة مشروخة هذه التي تدندن بها أمريكا تارة وطابورها العاشر في أجهزة إعلامنا وصحافتنا تارة أخرى بينما يتم اغلاق كل مركز للحوار وإسكات كل صوت مخالف وتوجيه صاروخ إلى كل صدر يتنفس حرية وعزة وكرامة, إنها أغنية قديمة هذه التي تتحدث عن الحب في زمن الكراهية, وعن الحداثة في زمن الغزو والحرب, وعن تحرير العراق في زمن امتصاص الخيرات والثروات واقتسام القصعات, وتتحدث عن الديمقراطية في زمن الأنياب المكشرة في الغرب والشرق والتي تستخدم حتى أقدس الكلمات والشعارات للقضاء على أمن العالم وقدرة الشعوب على التعايش والإخاء.